# قضيــة فلســـطين

## بين ضياع الأنظمة وطريق المخلصين

من يتكلم عن قضية فلسطين هذه الأيام ومن يعمل لها بإخلاص ؟

قبل بضعة عشر عاماً انطلقت أول رصاصة فدائية على طريق النضال لتحرير الأرض المحتلة من البحر إلى النهر .. وفوجئ بها الغاصبون فتحركوا .. وفوجئ بها الرسميون العرب فتكتموا على أنبائها وأنباء الأعمال الفدائية من بعدها طويلاً حتى حلت النكبة الثانية ، وهُزمت أنظمة الثوريين هزيمةَ أنظمةِ (الليبراليين) من قبل ، فاســتنجدت الأنظمــة جميعاً بالفدائيين ووضعتهم في المقدمة .. مقدمة الدعاية الإعلامية ، ومقدمة التحركات الــسياسية ، ومقدمــة رأس الحربة بعد أن تكسرت الحراب ..

ثم بدأت تقام في وجه الرصاصة الفدائية وقد تحولت مدفعاً ورشاشاً وصاروخاً وشهيداً السدود بعد الــسدود ، ابتداء بمصر ، ومروراً بالأردن وتل الزعتر وانتهاء بجنوب لبنان .. ثم بدأت توضع في طريق (السياسة الفدائية) القنوات والقيود ، ابتداء بمؤتمر قمة الرباط ، ومروراً بمؤتمر جنيف ، وانتهاء بكامب ديفيد .. وإذا بمنظمة التحرير الفلــسطينية بفصائلها وزعمائها اليوم داخل قالب سياسي محدود المعالم والمجالات .. إذا اعترفوا بوجود الكيان الغاصــب كــانوا موضع الترحيب ، وإذا حاربوا الكيان الغاصب كانوا موضع التنكيل .. إذا تفاهموا مع هذا النظام حاربهم ذاك ، وإذا تبنّوا هذا الاتجاه قاطعهم ذاك .. وإذا تودّدوا لهذه الجهة قُطعت عنهم معونات تلك ، وإذا عجزوا عن التــوازن بــين مختلف الجهات ، أصابتهم النيران من سائر الجهات .. وإذا تجاوزوا حدود القيود والسدود المفروضة في أيّ بلد مــن البلدان أصبحوا في نظر النظام الحاكم العدوَّ الأول من دون أهل الأرض أجمعين ..

ودعك من الأسباب والأخطاء .. فما من جهة إلاّ وتحمل قدراً من المسؤولية .. لخطأ ترتكبه ويمكن تقويمه لــو توفر الإخلاص ، أو لمقصد تبيّته لأنه لا يتوفر الإخلاص ..

وكانت مؤامرة كامب ديفيد حصيلة ضياع ثلاثين عاماً ، لا يعجب لها إلاّ من نام طويلاً قبلها أو أحسن الظــنّ كثيراً فهَالَهُ حجمُها .. وتفرقت الكلمة وما اجتمعت من قبل كما ينبغي ، وتبعثرت الجهود وما بذلت من قبل كمــا ينبغي ، وكيلت الاتهامات وما انقطعت من قبل بين مختلف الأطراف .. واجتمع الرافضون رفضاً قاطعاً والرافــضون

خوفاً أو تكتيكاً أو مجاملة .. فحدّدوا طريقاً ما كان له أن يوصل إلى هدف التحرير الكامل وقد أُسقط من حساباتهم من قبل ، فأوصل إلى ما كان يُتوقَّع أن يوصل إليه من تشعب السبل من جديد ، بين رفض بيع فلسطين جملة واحدة في كامب ديفيد لبيعها بالتقسيط في جنيف أو سواها ، وبين رفض أسلوب بائعي فلسطين من نظام الحكم الــراهن بمصر مع التفاهم والتنسيق والتعاون مع من عقد الصفقة وختم عليها من الأمريكيين سادةِ كامب ديفيد ، وبين رفضٍ قاطع للصفقات الأمريكية وقبولٍ كامل بصفقات سوفييتية من دونها ..

ثم انفجر بركانٌ في إيران المجاورة لم يحسب لانفجاره حساب ، وظهر صوت طالما حاربتــه وتحاربــه معظــم الأطراف في قضية فلسطين .. ينادي باسم الإسلام بتحرير فلسطين .. كما يقضي الإسلام من البحــر إلى النــهر ، وكما تقضي الحقوق الإنسانية وتقرّ الشرائع الدولية من البحر إلى النهر .. وامتدت هزات البركان موجات متتابعات باتجاه المسجد الأقصى ، فصدتها موجات متعاقبة مقابلة تخشى أن يقوم الإسلام نظاماً وحكماً ، فلا يبقى لأصــحابها وجود في حلبة التجارة على المسجد الأقصى .. وانشغلت ثورة إيران بنفــسها ، أو شــغلت بالمــشاكل الداخليــة والعداوات الخارجية ، ثم اندلع بركان من نوع آخر في أفغانستان .. فبلغت الأمور مداها ، وإذا بدنيا أنظمة الحكــم في بلاد العرب والمسلمين منشغلة بكل شيء إلاّ فلسطين ، بالغزو السوفييتي السياسي والعسكري والغزو الأمريكــي السياسي والعسكري .. نظام ينضم لهذا الفريق وآخر لذاك الفريق .. فأين بقيت فلسطين وقــضية فلــسطين أيهــا المسلمون ؟

من يتكلم عن قضية فلسطين هذه الأيام ومن يعمل لها بإخلاص ؟

إنما يتكلم ويعمل دون إخلاص نظام حكم السادات ، الذي يبرر مسيرته لتصفية القــضية بعجــز الآخــرين أو امتناعهم عن المسير .. فيتبادل السفراء مع بيجن ، ويفتح المطارات لشركة العال ، والأسواق للاقتصاد الــصهيوني ، والآبار النفطية للسيارات والطائرات والمصانع الإسرائيلية ، ونيلَ مصر للجشع اليهودي .. ثم يقول إنه لا يزال عاجزاً حتى عن تحقيق إدارة ذاتية صورية مزيّفة ، لأن أبناء فلسطين المستعمَرين يرفضون ويناضلون ، وأبناء فلسطين المشردين محرومون من الكلام ما داموا لا يعترفون ولا يخضعون .. ولا يزال عاجزاً حتى عن منع مزيــد مــن تهويــد الأرض المغتصبة في الضفة والقطاع ، وتشريد مزيد من المنكوبين من الضفة والقطاع ، وإقامة مزيد من المستعمرات في الضفة والقطاع .. لا يزال عاجزاً عن منع الصهيونيين الغاصبين من السيطرة الآثمة حتى على شــركة توزيــع الكهربــاء في القدس الشرقية .. أو هو غير آبهٍ بضفةٍ ولا قطاع ولا قدس فضلاً عن الساحل والجليل والنقب ، ما دام الإسرائيليون ينسحبون من بعض سيناء لتُفتح مطاراتها للأمريكيين ، ويعبرها نفط مصر إلى الأعداء الغاصبين ، وتقام فيها الأنابيب والقنوات لنقل مياه النيل إلى النقب المؤودة من قبل ..

ويا ويح نظام السادات من مآلٍ لم ينجُ منه ظالم متجبّر ، ولا خائن مستهتر من قبله ، ويا ويح من يشاركه علناً أو يسكت عنه في أيّ مكان ناسياً أرض الإسراء والمعراج وتاريخها ، وناسياً أو متناسياً غدر بني إسرائيل علـــى مـــرّ العصور وحاضرهم الغدّار أيضا ..

من يتكلم عن قضية فلسطين هذه الأيام ويعمل لها بإخلاص ؟

هل تفعل ذلك أنظمة حكم همّها الأكبر تثبيت القدم الأمريكية أكثر مما مضى بحجة مواجهة المخالب الـــشيوعية السوفييتية .. أم أنظمة حكم هزيلة لا تمنعها حقارة تمكين الشيوعية من رقاب المسلمين من قبـــل عـــن التمـــادي في المواقف الحقيرة وتأييد الشيوعية وهي تتسلط على رقاب المسلمين في أفغانستان أكثر فأكثر .. أم أنظمة حكم تـــضع وجودها هي ولو بالتعاون مع أحزاب الشيوعيين والبطش بأبناء الشعب المجاهدين ، فوق قضية فلسطين وكل قـــضية مصيرية أخرى من قضايا الإسلام والمسلمين ؟ .. من يتكلم عن قضية فلسطين ويعمل لها بإخلاص أيها المخلـــصون لقضية فلسطين ؟ ..

ما الذي يجري على ساحة الأحداث في بلادكم الإسلاميّة اليوم إلاّ صراع النفوذ بين الشرق والغـــرب ، وقـــد أصبحت معظم أنظمة الحكم أدوات مسخرة له ، وهي تحسب لنفسها أحياناً دوراً فيه أو تأثيراً عليه ؟

ولم يعد ينكر عاقل –أيها المسلمون– أن للإسلام قوة ذاتية تحرّك ضمائر الشعوب ، وتنفض عنها كـــل مـــا ران عليها عبر ظلمات عشرات السنين الماضيات ، وتستطيع تفجير الطاقات وتعبئتها في الطريق القويم إلى المستقبل العزيز المجيد .. أفلستم ترون ردّ الدولتين الكبريين على صحوة الإسلام في قلوب المسلمين ووجودهم ، بالعودة إلى الغـــزو السياسي والعسكري المباشر ، بعد الاكتفاء مرحلة من الزمن بما كان يقوم به الأتباع من دونهما ، أو بمـــساعدتهما في السنين الماضية ؟ ..

إنّ أنظمة الحكم القائمة في بلادكم أيها المسلمون قد اختارت لنفسها أو فُرضت عليها سبل الضياع بين شـــرق وغرب .. فهل تضيعون معها أو تخضعون لما يراد لكم من خلالها من ضياع .. أم تـــستيقظون وتعملـــون لـــصنع مستقبلكم بأيديكم ؟ ..

انظروا أيها المخلصون لقضية فلسطين .. انظروا في التصريحات ، والقرارات والمؤتمرات ، والزيارات والمحادثات ، وفي الإجراءات المعلنة جهاراً نهاراً ، وفي التحركات السياسية والعسكرية الدائبة بلا انقطاع .. وحاولوا .. حـــاولوا أيها المخلصون أن تجدوا في تلك المتاهات جميعاً طريقاً واحداً موصلاً اليوم .. أو غدا .. أو بعد ســـنين وســـنين إلى مسجدكم الأقصى .. ثم أجيبوا بإخلاص ووجدان : هل تجدون ؟ ..

قد تجدون أنفسكم في قاعدة عسكرية أمريكية جديدة ، أو في طائرة تقذف القنابل فوق رؤوس بعض إخوانكم ، أو حتى فوق رؤوسكم ورؤوس أنبائكم ، أمريكية في جنوب لبنان أو روسية في أفغانستان ، أمريكية أو روســية أو فرنسية أو بريطانية هنا وهناك وهنالك ما بين الفليبين واريتريا والصحراء الغربية ..

قد تجدون أنفسكم بين سطور معاهدة (صداقة وتعاون) أو في ذيل معاهدة (إطار للسلام) ، أو في طــرف مــن أطراف تحالف غربيّ الاتجاه ، أو على هامش اتفاق شرقي الاتجاه .. قد تجدون أنفسكم في موسكو أو نيويــورك أو جنيف أو واشنطن أو على عتبات كامب ديفيد .. ولكن هل تجدون أنفسكم ، أو تجدون أحفــادَ أحفــادِكم -إن سرتم وراء السائرين في تلك السبل المتشعبة -في عكا وحيفا وصفد والرملة ونابلس وبيت لحم وحلحــول والخليــل والقدس ؟ ..

نسائلكم تساؤل الوجدان والإخلاص أيها المخلصون لقضية فلسطين :

مَن للقضية مخلصٌ إلاّ من تمسك بهدف التحرير الكامل واستعادة الوطن السليب ، واعتبر طريق النضال المشروع للتحرير هو الطريق الأبيّ الوحيد إلى ذلك الهدف ، وكان قادراً على تعبئة الجماهير الوفيّة المؤمنة لذلك الهدف علــى هذا الطريق ؟ ..

وهل يملك المسلم الحر -بعقيدته- إلاّ العمل والجهاد لتحرير كل ذرة تراب إسلامية مغتصبة ، وطرد كل مغتصب فاجر من كل دار أو جبل أو بستان ، من الساحل والصحراء والغور والتلال ، من المدن والقــرى الــتي أعزهــا الله بالإسلام ولا عزة لأهلها بغير الإسلام ؟

وهل يمكن أن يقاتل لهذا الهدف مقاتل مخلص كما يقاتل المجاهد في سبيل الله ونصبُ عينيه هدف الشهادة كهدف النصر ، ويقينه بالنصر لا تزعزعه عقبات ولا مرهبات ؟

وهل يستطيع تعبئة جماهير الإسلام كما ينبغي أن تكون التعبئة ويفجّر طاقاتها ويجمع جهودها كما هــو جــدير بقضية مصيرية .. سوى الإسلام ؟ .. أم أن في الزمن بعد فسحةً لمزيد من ألوان التجارب والمغامرات ؟! ..

يا أيها المخلصون .. الفدائيون من أبناء فلسطين والصامدون في وجه الاحتلال الغاشم داخل فلسطين .. ويا أيها المخلصون ما بين الصحراء الغربية والفليبين ..

إذا ضاعت أنظمة وأحزاب في المتاهات ، واشترت بقاءها المؤقت أو زعاماتها الزائفة بمزيد من النكبات ، وتقاتلت فيما بينها لمصالح الأسياد أو لبعض المصالح الذاتية والأهواء والشهوات .. فلا تضيعوا أنتم مع الضائعين ، ولا تتيهــوا

مع التائهين .. ولا تساوموا على مصيركم البائعين والشارين .. ولا تكونوا مع الأتباع والمنهزمين .. وإننا نــدعوكم إلى الإسلام .. إلى طريق الإسلام

ندعوكم إلى الإسلام .. إلى طريق الإسلام ..

هو طريق طويل .. ولكن هذا تتحقق الأهداف بالسير على سواه ؟

هو طريق يعاديه أهل الباطل أجمعون ، وقد يقلّ فيه الناصر والصديق .. ولكن هل أفضل منه البديل بالخــضوع لأهل الباطل والذل المهين ؟ ..

ندعوكم إلى الإسلام .. إلى طريق الإسلام ..

إلى الإسلام الذي أنزله الله عزَّ وجلّ .. وليس إلى الصور المهترئة المتسترة باسمه

إلى الإسلام الذي تحددت مبادئه في الكتاب والسنة .. وليس إلى التجارب الطائشة والمغامرات المتــاجرة باسمــه والدعوات الحاقدة عليه وإن لبست لباس بعض شعاراته ..

إلى الإسلام الذي يخافه عدوّ يريد التوسّع والسيطرة ، ولكن لا تخافه دول تحترم حقوق الإنسان حقّاً وقد أقرهــا الإسلام ، وتريد التعامل على أساس الاحترام المتبادل والمنافع المشتركة وقد ثبّت قواعدها الإسلام ، وتريد التعــاون المثمر لخير البشرية جميعاً وقد كرّم الإسلام بين آدم جميعاً ، وأقام علاقاتهم على أساس المساواة والتعارف والإحسان ، لا على أساس التمييز والاستغلال والعدوان ..

إلى الإسلام الذي يعيش في ظله أبناء البلاد جميعاً حياة حرة كريمة ، تحفــظ حقــوقهم وواجبــاتهم وحريــاتهم ومسؤولياتهم ، فلا يخشاه نصراني ولا يهودي منصف ، بل يدافع عنه ويرضي به إن أخلص حقــاً لمــصلحة الــبلاد المشتركة

ندعوكم إلى الإسلام .. إلى طريق الإسلام

وهو طريق طويل .. يحتاج إلى مزيد من الجهود والبذل والتضحيات .. إلى الارتفاع فوق الخلافــات والــصغائر والانقسامات ، إلى جمع الطاقات وتعبئتها في خدمة القضايا المصيرية المشتركة والأهداف الجليلــة العزيــزة .. فهــل تستجيبون ؟ ..

لا ندعو إلى شرق ولا إلى غرب .. بل إلى الاستقلال عن الشرق والغرب ..

لا ندعو إلى نظام متجبّر ولا إلى اتجاه منحرف .. بل ندعو إلى التميّز بالإسلام عن كل دعوة غربيـــة وشـــرقية ، والتخلص به من كل طاغوت خارجي أو داخلي ، ورفع رايته الأصيلة من دون سائر الرايات المعادية والمستغلة ..

وثقوا أيها المخلصون .. أن النصر مهما طال الطريق للإسلام ، وللحق الذي يدعو إليه الإسلام ، ويناضل مـــن أجله المخلصون الصادقون ..

وبمقدار ما تتجمع جهود المخلصين المناضلين وتتلاقى .. وبمقدار ما يلتقون في مواقف الإخلاص ومواطن البـــذل والتضحية .. يقتربون من تحقيق الأهداف التي يتطلعون إليها جميعا .. فنستعيد الكرامة التي أهدرت ، والحريـــة الـــتي اغتيلت ، ونحقق العدالة التي أهدرت ، والحرية التي اغتيلت ، ونحقق العدالة التي افتُقدت ، والشورى التي وئـــدت ، ونتعاون ونتساند على طريق العزّة والتقدم ، وحمل رسالة الحق والخير والهدى للبشر جميعا

وآنذاك نخطو الخطو الكبرى نحو فلسطين السليبة أيضاً ، ونحو تحرير أرضنا وشعوبنا في كل مكان من طواغيـــت الغرب والشرق والتبعية للشرق والغرب ، وتحرير قضايانا المصيرية من المتاجرة والمساومة ومن مخادعة الشعوب لشغلها بالمعارك الجانبية عن صنع مستقبلها المنشود

وليست إمكاناتكم -أيها المخلصون- قليلة إن اجتمعتم على طريق العمل والنضال ..

ولن يجد أعداؤكم سبيلاً للنفاذ إليكم والنيل منكم فريقاً بعد فريق ، إن اجتمعتم على طريق الإخلاص والعمـــل والنضال

وفي عون الله ما يغنيكم عن سواه ، وما يوصلكم بإذنه إلى النصر المؤزّر والسعادة في الدارين

﴿ ... **إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ [الكهف : 30]